تقرير حول محتوى اليوم الدراسي المنعقد بمقر المركز يوم الخميس 04 مارس 2021 تحت عنوان:

"محاولات إصلاح المجتمع والدولة في الواقع العربي وسياقات التحوّل الراهن"

تنسيق:د. عبدالملك الظاهري.

يعرِف العالم المعاصر تحوّلات كبرى ظاهرة للعيان ومعلنة في كثير من الحالات، وغير ظاهرة ولا معلنة في بعض الحالات الأخرى ولكّنها هامة وعميقة وجذرية، ومن ذلك ما يشهده العالم العربي منذ أكثر من عقد من الزمان، إي منذ اندلاع شرارة الربيع العربي في تونس مع بداية جانفي2011، وهو ما يطرح أسئلة ملحّة حول الراهن العربي بحقوله المختلفة (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) والمستقبل بآفاقه العديدة والمستجدّة، إذ نجد أن الأمم والشعوب تسعى جاهدة وبكل ما أوتيت من قوة وإمكانات لإصلاح أحوالها وضبط خطط وبرامج مختلفة (خماسية وعشرية وغيرها) للإصلاح والتنمية حتى تستقيم أمورها وتحقق رفاهية مواطنيها وتبسط نفوذها وإرادتها في هذا العالم المتشابك والمليء بالطموحات والتطلعات والإرادات المتباينة،لذلك بات من الضروري دراسة محاولات الإصلاح المختلفة في الفضاء العربي الاسلامي واللحظة الحضارية الدقيقة التي تمرّ بها شعوبناوفحص الراهنومعرفة اتجاهات حركته السياسية والثقافية والحضارية، ومكونات الفعل الحضاري، وممكنات الإصلاح والانطلاق والنهوض. تساؤلات عديدة تطرح في هذا المجال منها: هل يمكن لهذا الفضاء أن يصلح ما بنفسه وينهض بعد عقود من التردي والفساد الذي بنخر جسمه من رأسه إلى أخمص قدميه؟ هل أن الإصلاح الجزئي (الاقتصادي أو التربوي أو الثقافي أو السياسي وغيره) يمكن أن يكون مثمرا ويساهم في النهوض من جديد؟ وما هي شروط ذلك؟ أم أن الإصلاح لا يكون إلاّ شاملا وعميقا قاطعا مع منظومة الغرب الرأسمالي ونصائح منظماته المالية المتوحشة؟ إلى أي مدى يمكن تأسيس منهج الاصلاح في القرآن بوصفه نصاً تأسيسياً يعرض تجارب الأنبياء في التاريخ؟ هذه بعض الأسئلة وغيرها كانت محور اليوم الدراسي الذي نظّمه مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة يوم الخميس 04مارس 2021 على الساعة العاشرة صباحا بمقر المركز،وهذه ملخصات المداخلات الأربعة التي تمّ تقديمها في هذا اليوم الدراسي:

1- أ. عفيفة حمزة"النظام السياسي التونسي ودعوات التغيير"

تتمحور هذه المداخلة حول النظام السياسي التونسي ودعوات التغيير التي تعالت منذ الفترة الأولى من المصادقة على الدستور خاصة مع ما مرت به تونس من أزمات حادة اجتماعية واقتصادية وسياسية. لقد تعددت أشكال الأنظمة السياسية في الدول المعاصرة إلا أن تونس اختارت نظاما أثار جدلا كبيرا حول طبيعته واختلف الفقهاء في تصنيفه فقد اعتبره البعض نظاما هجينا في حين صنفه آخرون بنظام مختلط أو نظام برلماني معدل. في الحقيقة إن نتائج الانتخابات والأطراف التي ستمسك الحكم هي التي ستحدد في الأخير نوع النظام السياسي في تونس بعيدا عن أية اجتهادات فقهية، فلما فاز رئيس الجمهورية منحزبغيرحزبرئيسالحكومة، طفت على السطح صعوباتالتعايشبين أهم هيكلين على رأس السلطة التنفيذية وسبّب في أزمة غير مسبوقة تهدد مكتسبات مرحلة الانتقال الديمقراطي مما جعل البعض يدعو إلى تغيير النظام السياسي، لذلك نادت بعض الأطراف إلى إعادة النظر في النظام السياسي من منطلق التعديل

لتعزيز النظام البرلماني وتكون فيه السلطة للحزب الفائز بالأغلبية ولرئيس الحكومة الذي يعينه. في حين ونجد أطيافا سياسية أخرى تدفع نحو تغيير النظام السياسي والعودة إلى النظام الرّئاسي. لا أحد ينكر اليوم الأزمة التي يمر بها النظام السياسي التونسي، ولكن هل من جدوى لتغيير هذه المنظومة خاصة في عدم توفر الشروط الموضوعية (استكمال النظام السياسي والبعد الزمني لتقييمه) والشروط الإجرائية (تركيز المحكمة الدستورية)التي في غيابها يجعل الباب الثامن من الدستور غير ممكن التطبيق عمليا.إذايتمثل الحل، في هذه المرحلة العصيبة، في حسن إدارة الخلافات بين مختلف الأطراف السياسية وتركيز المحكمة الدستورية واستكمال الهيئات الدستورية وتعديل القانون الانتخابي لتامين أكثر انسجام داخل البرلمان وتوفير أغلبية مريحة للحزب الفائز.

2- د. عبدالله بلحاج "اشكالية التقدم في فكر الطهطاوي السياسي"

يعدّ الطهطاوي من الأوائل الذين انتبهوا إلى التفوق الحضاري للغرب في كل المجالات ، وذلك حين أرسل إلى فرنسا واعظا لبعثة علميّة ، حيث أصيب بصدمة حضارية كبرى دفعته ليؤلف كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ، فهو من أشهر الشخصيات الفكرية في القرن التاسع عشر، وقد تميّز بخصال متعدّدة في شخصيته ، ولكن الخصلة الكبرى كانت نظرته الواقعية للأشياء، وكان الطهطاوي يميل ميلا فطريا للحريّة والديمقراطيّة، وقد لعب دورا مهما في حركة التنوير من خلال مدرسة الألسن ، ويمكن القول: إنه أول مَنْ أدرك أن الترجمة هي البداية الوحيدة للنهضة، فبدأ بنفسه حيث قام بترجمة العديد من الكتب. وقد طالب بتعليم المرأة وتثقيفها أسوة بالرجل، وكان ذلك في كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين» أوضح الطهطاوي إعجابه بما كان يراه من تقدم فرنسا في ممارسة الحرية، وتنظيمها في مؤسساتها الدستورية ، لأن الحرية (كما قال) : "هي الوسيلة العظمى في إسعاد أهالي الممالك". وقسم الطهطاوي السياسة إلى خمسة أقسام :أولا: السياسة النبوية، وهي خاصة بالأنبياء والرسل ، ثانيا:"السياسة الملوكية، وهي حفظ الشريعة(القانون)، ثالثا: "السياسة العامة، وهي الرئاسة على الجماعات، رابعا: "السياسة الخاصة: وتسمى السياسة المنزلية"،خامسا: "السياسة الذاتية، وهي تفقد الإنسان أفعاله وأحواله، كما قسم نواحي الحرية إلى خمسة أقسام:الحرية السلوكية: وهي حسن السلوك ومكارم الأخلاق ،الحرية الطبيعية: وهي التي خلقت مع الإنسان،الحرية الدينية: وهي حرية العقيد،الحرية المدنية: وهي حقوق العباد والأهالي، الحرية السياسية: أي الدولة. ويشترط الطهطاوي في هذه الأقسام توفر عنصر "العدل" ثم ربط بين العلاقات التكاملية للحريات وبين الالتزام.

3- د. محمد كمال الحوكي:مبادئ حقوق الإنسان في الفكر الإصلاحي من خلال مقدمة كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"لخير الدين باشا التونسي.

مثلما يعتبر المشير خير الدّين باشا التّونسي أحد أهمّ رجال الإصلاح العربي في القرن التّاسع عشر، يعتبر كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" من أهم الآثار المعرفيّة لحركة الإصلاح ورجاله التي وصلتنا. وهو كتاب تضمّن تفاصيل أفكار خير الدّين الإصلاحيّة وتصوّراته وخلفيّاتها. كان خير الدين وراء أحد أهم محاولات الإصلاح للحياة السّياسيّة في العالم العربي؟ قوامها الاعتراف بالحقوق السياسية تبني خلالها أهم قيم الحداثة كما هي معترف بها في مهدها الأوروبي بين أهلها وكما قرّرها فلاسفة الأنوار ومفكرو الثّورات المتواترة في أوروبا خلال القرنين 18 و19، ومنها قيم الحريات بأنواعها وقيم حقوق الانسان خاصّة. في محاولة لتقصّي ملامح

التّفكير الحقوقي في مشروع خير الدين باشا التّونسي الإصلاحي، سأعمل على قراءة أهمّ المبادئ الحقوقيّة في مشروعه في مسائل الحريات بأنواعها في منظومة الحكم كما تصورها ومدى تفاعله مع قيم الحداثة الغربية ومساحات تقبّله لها في فكره. من هنا يمكن قراءة ملامح تقبّل خير الدّين باشا لهذه القيم ومدى حداثيّة تصوراته التي لاقت معارضةوتقبّلا من قبل النخب التونسية آنذاك،لكنها لاقت بعد ذلك ترحابا بين نخب الأجيال التي جاءت بعده،وكانت خلفيّة مرجعيّة لأغلب التّجارب التّحديثيّة ومحلّ دراسة وبحث لأجيال من النخب العربية بعده.

4- أ.د. محمد الشتيوي"منهج الإصلاح في القرآن:قراءة في تجارب الأنبياء"

تركّز هذه المداخلة في البداية على التمييز بين المنهج الإصلاحي في التغيير والمنهج العنيف الذي يسعى إلى التغيير السريع والفوري بالعنف والقوة والثورة الجارفة، ولا ريب أن المنهج الإصلاحي المتدرج والمعتدل هو الأفضل، لذلك من المهمّ استعادة المنهج الإصلاحي الذي أسسه الأفغاني وخير الدّين التونسي وغيرهما مع تطويره بحسب نسق التطورات الحديثة. كما تهتمّ المداخلة بعد ذلك بتأصيل المنهج الإصلاحي في القرآن الكريم انطلاقا من قراءة مقاصدية لتجارب الأنبياء عليهم السلام مع التركيز على منهج أبي الأنبياء وخليل الله ابراهيم عليه السلام، ويمكن تلخيص أبرز خصائص الإصلاح في القرآن بناء على العناصر التالية:

1- التدرّج، خلافا لمنهج العنف الذي ينادي بالتغيير الفوري.
2- الجمع بين الثبات والمرونة، خلافا كذلك لمنهج العنف الذي يركز على الثوابت وينكر المتغيرات المرنة.
3- الجمع بين المحافظة على المكاسب والقديم الصالح وبين الإضافة والتجديد والاجتهاد حسب تغير الظروف وتوقعات المستقبل.

د. عبدالملك الظاهري
منسق اليوم الدراسي

أ.د. محمد الشتيوي
المدير العام